بجواب ان يقول منعني كذا اجيب بانه جواب من حيث المعنى استانف به
استبعاد الا يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه
ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يومر به فهو الذي
سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا وعلل الخيرية بقوله
خلقتني من نار فهي اغلب اجزائي وهي جسم نوراني عالية علوية وخلقته
من طين اي هو اغلب اجزائه وهو كدر مظلم سافل مغلوب بكل منهما مركب
من العناصر الاربعة فالاضافة الى ما ذكر باعتبار الجزء الغالب قال ابن
عباس رضي الله عنهما اول من قاس ابليس قال ابن سيرين ما عبدت الشمس
الا بالقياس وانما اخطا ابليس لانه راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل
عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه تعالى بقوله ونفخت
فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهي ملاكه ولذلك
امر الملائكة بالسجود فلما تبين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيرهم
وقال محمد بن جرير ظن الخبيث ان النار خير من الطين ولم يعلم ان الفضل
ما جعل الله له الفضل وقد فضل الله الطين على النار بوجوه منها ان من
جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد السعادة
التي سبقت له الى التوبة والتواضع والتضرع فاورثته الاجتباء والتوبة
والهداية ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهو
الداعي لابليس بعد الشقاوة التي سبقت له الى الاستكبار والاصرار
فاورثته اللعنة والشقاوة ولان الطين سبب جمع الاشياء والنار
سبب تفرقها ولان التراب سبب الحياة لان حياة الاشجار والنبات
لا تكون الا بالطين والنار سبب الهلاك فان قيل لم سال الله
تعالى عن المانع من السجود وهو عالم بما منعه اجيب بانه

للتبكيت

للتبكيت ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه اصل
آدم عليه السلام قال الله تعالى لابليس فاهبط منها اي من الجنة وقيل من
الجنة وقيل من السماء الى الارض والهبوط الانزال والانحدار من فوق
الى سفل المفهوم منه التحقير والاستخفاف فما يكون اي فما يصح لك ان تتكبر
فيها عن امري لان الجنة او السما مكان الخاشع المطيع لامر الله تعالى وفيه
تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة والسما وانه تعالى انما طرد
ابليس لتكبره لا لمجرد المعصية قال صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقي
من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وعلا وضعه الله وعن عمر رضي الله
عنه من تواضع رفع الله تعالى حكمته ومن تكبر وعلا طوره هضمه الله الى الارض
فاخرج منها انك من الصاغرين اي الكفرة الاذلاء المهانين والصغار الذل
والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله بالصغار
والذلة وكان له ملك الارض فاخرجه الله منها الى جزائر البحر الاخضر
وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خائفا كهيئة السارق مثل شيخ عليه
اطمار رثة يروغ فيها حتى يخرج منها قال ابليس عند ذلك انظرني اي
اخرني وامهلني ولا تعجل عقوبتي الى يوم يبعثون اي الناس وهو النفخة
الاخيرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة ابليس الخبيث لانه سال
ربه الامهال وقد علم انه لا سبيل لاحد من الخلق الى البقا في الدنيا
ولكنه كره ان يذوق الموت فطلب البقا والخلود فلم يجب الى ما سال بل
اجابه الله تعالى بقوله قال انك من المنظرين لا الى ذلك الوقت بل الى
الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الاولى التي يموت فيها الخلق فان قيل
لم اجيب الى الانظار وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم اجيب
بانه اجابه لما في ذلك من الابتلاء للعباد وفي مخالفته من عظيم الثواب
وحكمة ما خلق الله من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي ما

Copyright © King Saud University